

الرّسومات المرافقة لنصوص الحزازير في كتاب: «يالاً نُحزّر ونُحزّر»

عناصرها وأساليب تقديمها للطفّل

صونيا مرشي

ضمن مشروع مكتبة الفانوس الذي يسعى إلى تحبيب الطّفّل بالكتاب، وإلى تشجيع الأهل على القراءة لأطفالهم، صدر في أيار سنة 2019 عن دار النّشر الحيفاوية «مكتبة كلّ شيء»، كتاب "يالاً نُحزّر ونُحزّر" للكاتبة صونيا مرشي، ولرّسامة أوريليه خالدي. الكتاب موجّه للطفّل في سنوات عمره الأولى، ويتضمّن عشرة نصوص في قالب حزازير أو أحجيات وصفية مختلفة، تختصّ كلّ منها بصنفٍ واحد من الفواكه، والخضار، والحبوب، وأطعمة أخرى.

يتألّف كلّ نصّ من سلسلة من الجمل القصيرة التّصويرية، غير المعقّدة، والمسجوعة. لغتها قريبة من لغة الطّفّل، ومن خصائصه الإدراكية. تخضع هذه النصوص لمبدأ التدرّج، وتعتمد أوصافاً واقعية لشيء مجهول؛ إذ تبدأ الحزيرة بتوصيفٍ عامٍّ للشيء المجهول، يليه ذكر مجموعة من صفاته، وتنتهي معظمها بسؤال يُحزّر الطّفّل بين إجابتين، إحداهما هي الحلّ للحزيرة. إنّ استخدام أسلوب السؤال يحفّز مشاركة الطّفّل، ويستدعيه إلى التّفكير بالأوصاف التي وردت في الحزيرة، ومقارنتها مع أوصاف كلّ من الخيارين من أجل الاهتداء إلى الحلّ.

لهذه الحزازير خصائص أدبية ولغوية تميّزها، وهي تهدف إلى تنمية ملكيّة الملاحظة والتأمّل لدى الطّفّل في عناصر البيئة المحيطة به، ورصد ما يشاهده. تخاطب هذه الحزازير عقل الطّفّل وأحياناً وجدانه وعاطفته، من أجل إحداث نقلة في سلوكه ورفع وعيه الصّحيّ فيما يتعلّق بالتغذية السليمة.

يُرافق نصوص الحزازير في هذا الكتاب رسوماتٌ توضيحية يعتمد عليها الكتاب، فهي توّفر معلومات فورية لا تستطيع النصوص المكتوبة التعبير عنها كلّها، وتُتيح للطفّل أن «يقرأ» النصّ بلغة بصريّة قبل أن يفكّ رموز القراءة والكتابة. تُعدّ الرّسومات وسيلة

اتّصاليّة ومدخلاً مناسباً للتّعاطي مع التّصوص المكتوبة، وذلك وفقاً لما جاء في الصفحة الموجهة للأهل في نهاية الكتاب حيث يرد: «قبل قراءة الكتاب معاً ندعو طفلنا إلى مغامرة البحث عن الفواكه والخضروات المختبئة في الرّسومات. نقرأ الحزيرة بتمهّل أكثر من مرّة، ونشجّع طفلنا على تخمين الإجابة من خلال النّص والرّسمة».

يهدف هذا المقال إلى إلقاء الضوء على طبيعة الرّسومات التّوضيحيّة المرافقة للحزازير في هذا الكتاب، والكشف عن عناصرها وأهمّيّتها كوسيلة اتّصاليّة، من أجل إفادة المربيّات والأهل في طرق تقديم الرّسومات للأطفال، وأساليب عرضها عليهم.

قبل الشّروع في مناقشة هذا الموضوع، لا بد من طرح جملة من الأسئلة:

1. ما هي مكانة الرّسومات التّوضيحيّة في كتاب "يالّا نخزّر ونخزّر"، وهل هي عنصرٌ أساسيٌّ في هذا الكتاب؟ هل تتسم بالوضوح وتجنّب الكثافة؟
2. ماذا تحوي هذه الرّسومات، وما علاقتها مع التّصوص؟ هل هي مستوحاة من واقع الحزازير، وهل تشكّل جزءاً متكاملًا من النّص المكتوب؟
3. إلى أيّ مدى تعكس الرّسومات التّوضيحيّة خصائص الشّيء المجهول في الحزيرة؟
4. هل الرّسومات ذات ألوان وتفاصيل حقيقيّة، وإلى أيّ مدى يمكن اعتبارها رسومات واقعيّة بسيطة؟
5. هل الرّسومات ترجمةٌ حرفيّةٌ للتّصوص المكتوبة، أم أنّها تُعطي بُعداً آخر وتقدّم مواصفات لم يرد ذكرها في التّصوص؟ هل تعتمد على التّلخيص وإبراز المعلومة المهمّة، أم تكرر المعلومات الواردة في النّص ليس إلّا؟
6. هل تساهم في فهم أفضل للحزازير؟ وهل باستطاعتها التّعبير عن الأوصاف الواردة في النّص المكتوب؟ هل تساعد الطفل في التّركيز على التّفاصيل الصّغيرة؟
7. إلى أيّ مدى تساعد الطفل في التّعرّف على الشّيء المجهول والوصول إلى الحل؟
8. ما هي طرق تقديم الرّسومات للأطفال؟ هل يُفضّل أن يطلّع عليها الطّفل قبل أن نقرأ له نصوص الحزيرة؟

9. هل نوَقّر نحن، وأعني الأهل والمريّيات، فرصة للطفّل لأن يتأمّل الرّسومات ويقارن بينها؟ وما معنى «تأمّل» الرّسومات؟ هل هو محاولة لقراءة بصريّة لها؟

10. ما هو منهج قراءة الرّسومات؟ كيف يمكن أن نوجّه الطفل لقراءتها وفهمها؟

11. هل تخدم الرّسومات غرضًا يتعدّى التّسلية والترفيه؟ ما هو أثر غياب الرسوم التوضيحيّة على الطّفّل؟ هل يسهل عليه فهم الحزازير في غياب الرسوم التوضيحيّة؟

12. هل تشترك الرّسومات مع نصوص الحزازير المكتوبة في خلق المتعة والبهجة في نفس الطفل؟

هذه التّساؤلات وأخرى غيرها تدعوننا إلى التّفكير بإجابات تضع الأساس للتعامل مع الرّسومات كعنصرٍ يساعد الطّفّل في فهم الحزيرة، والاهتداء إلى الحل المنشود.

بداية، لا بدّ من التّويه إلى أنّ الحزازير المصحوبة برسومات توضيحيّة حديثة العهد في كتب الأطفال بالعربيّة. ففي الكتاب الذي نحن بصدده هناك رسمة منفردة لكلّ حزيرة تمتدّ على صفحتين من الكتاب، أي أنّ مساحتها أكبر من مساحة النّص المكتوب. تتألّف كلّ رسمة من مجموعة من العناصر من بينها عنصر يمثّل موضوع الحزيرة. معنى ذلك أنّ الرّسمة مستوحاة بالأساس من واقع الحزازير، وهناك عناصر أخرى في كلّ رسمة تشترك مع عنصر الحزيرة بصفة واحدة أو أكثر، إلّا أنّها لا تمثّل موضوع الحزازير. ونرى في هذه الرّسومات عناصر ومشاهد تثير الضّحك، وتُضفي أجواء مرحة على الكتاب.

ومن خصائص الرّسومات في هذا الكتاب أنّها واضحة المعالم، رُسمت بجريّة عالية، بسيطة وبعيدة عن التعقيد، وتعبّر تعبيرًا صادقًا عن واقع الشيء المجهول. أمّا من ناحية اللّون فنجد تعدّدًا لونيًا في كلّ رسمة. أسوق على سبيل المثال، لا الحصر، الرّسمة الأولى التي تتناول موضوع الخيار. نجد أنّ اللّون الأخضر بدرجاته المختلفة يهيمن على الرّسمة، كما نجد حضورًا للبرتقاليّ، والأسود وبعض الأبيض. في الرّسمة نجد أنواعًا مختلفة من نبتة

الصَّبَّار، بعضها يشبه الخيار في شكله، ناهيك عن الشَّبه باللُّون، إلَّا أنَّ ما يميِّز الصَّبَّار عن الخيار، هو الأشواك الَّتِي تغطِّيهِ، فيما تختبئ الخيارة بين بعض النباتات الخضراء.

من المعلوم أنَّ رسمة الشَّيء أكثر تجريدًا من الشَّيء ذاته، لكنَّ الرسمة أكثر واقعيَّة من الألفاظ والكلمات في وصفه. الرسمة تُحوِّل خبرات الطفل ومعارفه المجرَّدة إلى مادِّيَّة ومحسوسة، يستطيع الطِّفل استيعاب مضمونها وفهمها بعد التَّمعَّن فيها. إنَّ ملاحظة الرسمة وإدراكها بكلِّيَّتها، وترجمتها إلى مفردات لغويَّة، قد يساعد الطفل في استخدام حواسِّه المختلفة، ممَّا يُفترض بأنَّه قد يتطوَّر لاحقًا إلى قدرة على توليد الصُّورة في المخيِّلة.

وعليه، فالرَّسومات في الكتاب الذي نحن بصددده ليست مجرد عنصر لإضفاء الجاذبيَّة على صفحات الكتاب؛ وإمَّا لها دور مهمٌّ، ومزايا وفوائد عديدة تساعد في تحقيق الأهداف المنشودة من الحزازير المكتوبة. ليس بغريب أن يُقبل الطفل على الرَّسومات بشغف، وعلى نحو تلقائيٍّ، لأنَّه إذا تمَّ توظيفها بالشكل المناسب ساعدته أيُّما مساعدة في الوصول إلى الإجابات.

أمَّا إجراءات تقديم الرَّسومات بالشكل المناسب للأطفال فتتلخَّص في أن يُشير الأهل أو المربيَّة دافعيَّة الطِّفل لقراءة الرسمة، وتحفيزه على التَّمعَّن في عناصرها. لعلَّ أفضل وسيلة للقيام بذلك هو تَصَفُّح الكتاب معًا في جوِّ هادئ وآمن للطِّفل. بعدها يشجِّعون الطِّفل على وصف ما يراه بمفرداتٍ وعباراتٍ، ويُجرون حوارًا معه حول الرسمة. بهذا التدرُّج يتعرَّف الطفل على عناصر الرسمة، ويميِّزها، ويصف ما يراه. خُلاصة القول إنَّ قراءة الرسمة تبدأ في التَّهيؤ والتَّأمُّل ثمَّ الاستدعاء من الدَّاكرة فالوصف والمقارنة وغير ذلك.

إنَّ توظيف الرَّسومات التَّوضيحيَّة توظيفًا منهجيًّا عند التَّعامل مع الحزازير يمكنه أن يتيح للطِّفل تعلُّمًا متعدّد المصادر، متنوِّع الآليات، يتميِّز بالجاذبيَّة والمرونة، إذ إنَّه، وكما أسلفنا، تحتوي هذه الرَّسومات على معلوماتٍ لا تَرَدُّ في النَّصِّ المكتوب. أذكر على سبيل المثال، كيف تُتيح الرسمة أن يتعلَّم الطِّفل عن منبت البطاطا تحت التراب. إذا إضافةً إلى كون الرَّسومات وسيلة لتكوين الانطباعات، فإنَّها تدفع الطِّفل إلى طرح التَّساؤلات. لا

بدّ من القول إنّ الرّسومات التّوضيحيّة في كتاب «يلا نُحزّر ونحزّر» عملٌ إبداعيّ يعكس موهبة حقيقيّة، وأفترضُ أنّه سيؤثّر في بناء شخصيّة الطفل.

يتبيّن من خلال ما ذكرْتُ أنّها أنّ الرّسومات التّوضيحيّة في هذا الكتاب ذات جودة عالية من شأنها أن تُساهم في تنمية الفكر التأمليّ لدى الطّفل، وفي تشكيل ثقافته البصريّة وزيادة فعاليّة الاهتمام إلى الحلّ وغير ذلك.

ختامًا، أرجو أن أكون قد أضفتُ إلى هذا المجال، ولو بشكل بسيط، وأن أكون قد أسهمتُ في إنارة الطّريق لتنمية الاتجاهات الإيجابيّة في استخدام الرّسومات التّوضيحيّة على أفضل نحوٍ من أجل تيسير وتعميق فهم الطّفل لمضمون الكتاب، وجني المتعة من قراءته.